

# الفصل الثاني

---

## سياسة دولة الأحباش "اتجاه جزيرة العرب"

### 1) حملة أبرهة على اليمن

من الطبيعي لمن يتكلم عن سياسة دولة الأحباش تجاه جزيرة العرب أن يتعرض لسياسة بيزنطة، وذلك لأن الأحباش كانوا حلفاء للبيزنطيين، وشركاءهم في الدين، وحيث أن بيزنطة عجزت عن وضع قدمها في جنوب الجزيرة العربية فقد رأت من جهة أخرى أن التقرب من الأحباش وتوثيق الصلات معهم، يحقق لها ما أرادت، فتضرب من جهة مملكة حمير التي اتسعت في جنوب بلاد العرب، وتبعد الفرس من جهة أخرى عن

منطقة هامة، و"أكثر اتصالاً بالعالم الخارجي"<sup>(٤٤)</sup>، وتكسب الأحباش إلى جانبها ذلك أن قرب البلدين من بعضهما جعل البلاد العربية مطمعا سهلا للأحباش. (ينظر مصور رقم 6)

وعلى الرغم من الاعتقاد بأن الحبشة كانت في الأصل جماعات عربية يمنية، كانت تعيش على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية شرقي حضرموت، ثم هاجرت غرباً، وعبرت مضيق باب المندب، واستوطنت المناطق المقابلة لليمن على ساحل البحر الأحمر من القارة الإفريقية<sup>(٤٥)</sup>. إلا أنها سرعان ما أسست أكسوم عاصمة لمملكته، ثم ازدهرت في القرن الثالث الميلادي، وأخذت تمد نفوذها، وسيطرتها على المناطق المجاورة لها في الشمال والجنوب والشرق. وفي هذه المرحلة التوسعية، دخلت إليها المسيحية عن طريق بعض المبشرين في القرن الرابع<sup>(٤٦)</sup>. ثم أصبحت المسيحية الدين الرسمي للبلاد.

ولم يمضِ عشر سنوات على انتشار المسيحية في الحبشة، حتى كان المبشرون المسيحيون يقومون بنشر المسيحية في اليمن، بإيعاز من الروم الذين بثوا جماعات من المبشرين، أرسلوهم من الحبشة، ومن الشام، ومن العراق، ومن أماكن أخرى<sup>(٤٧)</sup>.

أخذت النصرانية تنتشر في اليمن إلى أن كان عام 340 م في عهد النجاشي الأعميدا، قام الحميريون بغزو السواحل الشرقية للحبشة، وهاجموا التجار هناك فرد النجاشي على هذا بغزو مماثل لليمن متذرعاً بأسباب دينية ولكن كان في الحقيقة لأسباب اقتصادية، بغية انتزاع السيادة التجارية من اليمنيين، فالنجاشي الأعميدا كان آنذوثياً ولم يكن قد اعتنق المسيحية بعد<sup>(٤٨)</sup>.

أكد ذلك جواد علي نقلاً عن كلا سر بقوله: "إن هذا الغزو كان جواباً من الحبشة

---

(1) هل (ي) الحضارة العربية ترجمة إبراهيم أحمد العدوي وحسين مؤنس مكتبة الانجلو المصرية ص6  
يختصر إلى هل: الحضارة العربية.

moscati (sabatin): histoire et civilisation daspeuples semihuiques paris 1954,p,212,213,214 drief  
moscatj histoire et chvhlisation

(2) ترسيصي (عدنان) اليمن وحضارة العرب، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ص19 يختصر إلى  
ترسيصي اليمن وحضارة العرب.

(3) هل: الحضارة العربية ص7 وينظر حتي: تاريخ العرب ص91

(4) سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص147

(5) جواد: تاريخ العرب 149/33، العلي: محاضرات 28/1، سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية 146،  
جميل: محاضرات 84

على الغزو الذي قام به ملوك سبأ، وذو ريدان من قبل على السواحل الإفريقية وعلى الأرضيين التابعة لمملكة أكسوم في نهاية القرن الثالث، وبداية القرن الرابع للميلاد، ولعله حوالي سنة 300 م أما غزو الحبشة لليمن. فكان على رأيه حوالي سنة 345 م (١٤) .

إذا كانت الحبشة تسعى لتأديب الحميريين الذين كانوا يتحرشون بقوافلها التجارية في البحر الأحمر<sup>(١٥)</sup>. فقد ذكر أن ملك حمير كان قد أمر بقتل التجار الروم الذين كانوا في بلاده، وبنهب أموالهم انتقاماً من الروم الذين أساءوا في بلادهم معاملة اليهود، واضطهدوهم فتجنب الروم الذهاب إلى اليمن، أو إلى الحبشة، أو إلى المناطق القريبة من حمير، فتأثرت التجارة مع الحبشة، وتضرر الأحباش، فعرض النجاشي على ملك حمير عروضاً لم يوافق عليها، فوقع الحرب<sup>(١٦)</sup>.

كانت هذه الحملة بمثابة حملة استطلاعية مهدت السبيل للحملات التي أتت بعدها. تم هذا الغزو في عهد يريم يرحب بن شمر يهر عش ملك حمير، فمنذ ذلك الحين تلقب ملك أكسوم بلقب ملك أكسوم وذي ريدان، وحبشت وسبأ وتهامة، وغير ذلك من ألقاب<sup>(١٧)</sup>. وفر ملك حمير إلى يثرب<sup>(١٨)</sup>، مركز اليهودية، في الوقت الذي نجد فيه الأحباش يشجعون على نشر المسيحية في اليمن فيقوم المبشرون بالدعوة لها في العربية الجنوبية، وينجح الراهب فيميون في تنصير عدد كبير من سكانها ويؤسس كنيسة في نجران<sup>(١٩)</sup>.

---

(1) جواد: تاريخ العرب 149/3 نقلاً عن كلا سر

(2) جواد: تاريخ العرب 189/3 - 190. وينظر ولفنسون: تاريخ اليهود 46.

(3) جواد: تاريخ العرب 189/3 - 190 وينظر ولفنسون: تاريخ اليهود ص46.

(4) موسكاتي (سينيتو) الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر دار الرقي - بيروت 1986 ص215 يختصر إلى موسكاتي: الحضارات السامية القديمة - شيخو (لويس النصرانية وآدابها - مطبعة الأباء اليسوعيين بيروت 1912 ح1 ص61 - 62 - 63 يختصر إلى شيخو: النصرانية وآدابها، جواد: تاريخ العرب 152/3: نافع: عصر ما قبل الإسلام ص83.

ترسيصي: اليمن وحضارة العرب ص19، جميلي: محاضرات ص8  
(5) تاريخ اليعقوبي 197/1.

(6) وهب بن منبة: التيجان في ملوك حمير دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الدكن ط1 1347 ص301 ابن هشام: السيرة النبوية 32/1 وما بعد. الطبري: تاريخ الرسل والملوك 119/2 وما بعد السهيلي: الروض الأنف 45/1 ابن الأثير: الكامل في التاريخ 426/1 المقدسي: البدء والتاريخ 182/3 وما بعد

ولم يطل أمد الاحتلال الحبشي لليمن. ففي عهد الملك الأكسومي عيزانا الذي اعتنق المسيحية كدين للدولة الحبشية، قامت بعض الثورات في مناطق أفريقية في مملكته، فانتفض اليمنيون فرصة انشغاله بإخماد هذه الثورات، ونصب ملكيكر بيهامن نفسه ملكاً على العربية الجنوبية وتلقب بملك "سبا" وذي ريدان وحضرموت وبمنات<sup>(١)</sup>.

كان ذلك في عام 370 أو 378 حيث فقدت المسيحية بخروج الأحباش سنداً قوياً لها. وفي عام 449 م في عهد شرحبيل يعفر، تم ترميم سد مأرب إلا أن هذا العمل لم يجد نفعاً، فقد تشعث السد بعد ترميمه بعام واحد في سنة 450 م أو 451 م، وأدى ذلك إلى فرار جماعات كبيرة من سكان هذه المنطقة إلى الجبال، فقام الملك شرحبيل من جديد ببناء السد<sup>(٢)</sup> وسجل هذه الأعمال في نقش طويل تضمن فيما تضمنه عبارة تدل على انتشار عقيدة التوحيد في زمنه نصها "بنصر وردا الهن بعل سمين وأرضن" أي بنصر وبعون الإله سيد السماء والأرض وهو تعبير لا يتفق مع الديانتين المسيحية واليهودية<sup>(٣)</sup>.

ثم تعاقب على حكم اليمن ملوك ليس لهم أعمال هامة، حتى جاء ذو نواس<sup>(٤)</sup>، آخر ملوك حمير، ويسجل نهاية حكمه سقوط الدولة الحميرية في أيدي الأحباش حتى عام 575 م<sup>(٥)</sup>.

فقد انتزع العرش من معد يكر، وجعل من اليهودية الديانة الرسمية لحمير، وبالوقت نفسه تغير الاتجاه السياسي لمملكة حمير، فاليهودية المضطهدة في بيزنطة، والتي

---

ابن كثير: البداية والنهاية 206/2 - 207 وينظر فصل الدين والصراع الدولي.

(1) ابن كثير: البداية والنهاية 208/2 حاشية، نيلسن: التاريخ العربي ص 302 جواد: المفصل 659/2

جميل: محاضرات ص 85 ترسيبي اليمن وحضارة العرب ص 19 أرياني: نقوش مسندية 182.

(2) جميل: محاضرات ص 86

(3) جواد: تاريخ العرب 158/3

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية 14

(4) اسمه ذو نواس في المصادر العربية، ودومنوس في المصادر البيزنطية ومسروق في المصادر السريانية، بر

صوم: مقالات 46.

(5) موسكاتي: الحضارات السامية القديمة ص 193 نيلسن: يتلف وغيره ترجمة فؤاد حسين، التاريخ العربي القديم

شيخو: النصرانية وآدابها ص 60 فخري (أحمد) اليمن ماضيها وحاضرها جامعة الدول العربية 1957

ص 19 54 يختصر إلى فخري اليمن ماضيها وحاضرها نافع: عصر ما قبل الإسلام ص 62 مقدادي:

تاريخ الأمة العربية ص 1.

تمتعت بالتسامح في إيران، ربطت الملك الجديد بالاتجاه الساساني، كضرب لإحلال التوازن مع النفوذ البيزنطي.

تحكي المصادر السريانية أن التجار من البيزنطيين والغساسنة، والأثيوبيين تعرضوا للنهب والفتك بحياتهم في خضم الأحداث التي كان مسرحها آنذاك الجنوب العربي على يد ملك حمير اليهودية، مما ألحق أذى بالمصالح التجارية لأكسوم، وغيرها من الدول". وكان هذا في حد ذاته انعكاساً للعداء تجاه بيزنطة وأكسوم، والدول النصرانية العربية، وإلى جانب الخسائر السياسية، تعرضت أكسوم أيضاً، لخسائر اقتصادية فادحة، لأن ذا نواس عطل تجارة عدولي ومكوسها<sup>(١)</sup>.

ودفع هذا الأحباش الطامعين إلى السيطرة على اليمن، وذلك لضمان توزيع البضائع<sup>(٢)</sup> دون أن تتعرض للاعتداءات التي كان يمارسها الحميريون باستغلال فرصة قيام ذي نواس بمهاجمة نجران أكبر مركز للمسيحية في اليمن عام 523 م والذي خير أهلها بين نبذ المسيحية، أو القتل حرقاً، فتخيروا القتل، وآثروا الاستشهاد، فخذ لهم أخاديد أحرقهم فيها، وأحرق إنجيلهم<sup>(٣)</sup>. وهذا ما سيفرد فصل خاص له، وقد ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم في سورة البروج، قال تعالى: ((قتل أصحاب الأخدود، النار ذات الوفود، إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود<sup>(٤)</sup>)).

ذكر الإخباريون أن مسرح الأحداث نجران، وحسب الآية الكريمة لم يتبين ذلك، ولم يتبين من هم الذين قتلوا، وأين كان ذلك؟

---

(1) كوبيشانوف الشمال الشرقي الإفريقي ترجمة صلاح هاشم عمان 1988 ص 34-35 يختصر إلى الشمال الشرقي الإفريقي.

(2) الحيمي (الحسن بن أحمد) سيرة الحبشة ومقدمته للدكتور مراد كامل القاهرة 1958 ص 61 يختصر إلى حيمي سيرة الحبشة: جميلي: محاضرات ص 88

(3) الأصفهاني: (حمزة بن الحسن) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء - منشورات دار مكتبة الحياة بيروت 113، يختصر إلى الأصفهاني تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء. الحميري (نشوان بن سعيد) ملوك حمير وأقيال اليمن تحقيق إسماعيل بن أحمد الحراي وعلي بن إسماعيل المؤيد - دار العودة بيروت ط 2 1978 م ص 148 يختصر إلى حميري: ملوك حمير يعقوب الثالث (أغناطيوس) الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية بطركية السريان دمشق 1966 ص 13 يختصر إلى الشهداء الحميريون جميلي: محاضرات ص 88.

(4) سورة البروج: آية 4-8

مما يثير التساؤل في نفس أي باحث في التاريخ وللأسف يقف عاجزاً عن إيجاد الإجابة (سيجري مناقشة هذا في فصل الدين والصراع الدولي).

والذي يمكن الإشارة إليه الآن، أن الإخباريين جعلوا مركز الأحداث نجران، لأن نجران تقع على طريق القوافل التجارية، ولأن النجرانيين بارزوا الملك وقواده وقتلوا منهم عدداً كبيراً، وتمردوا عليه، ولم يسلموا إليه المدينة، فما كان من الملك إلا أن انتقم منهم<sup>(١)</sup>.

مع العلم أنه أحرق بيعة خلفار بها فيها، وكان الشهداء من خلفار ومن الحميريين العرب، وأهل نجران وحضرموت، ومأرب وهجرين<sup>(٢)</sup>.

فالمتأمل في حادثة الأخدود، يرى أن أصحاب الأخدود حسب قوله تعالى مؤمنون، ذلك لأن اسم الرحمن كان مرادفاً لاسم الله في جنوبي الجزيرة العربية ذلك أن الشهداء الحميريين كثيراً ما كانوا يرددونه كقولهم "المسيح ابن الرحمن" وكذلك كان اسم المؤمنين مرادفاً لاسم الموحدين<sup>(٣)</sup>.

أضف إلى ذلك أن العملية في حد ذاتها ساقطت إلى تغيير حاد في الاتجاه السياسي لمملكة حمير فقد كانت سياستها موجهة ضد فئة من أعيان حمير جمعت ثروة لا يستهان بها من المتاجرة مع أثيوبيا، وبيزنطة واعتنقت المسيحية، أي أن ذا نواس ربط بين انتشار المسيحية في اليمن، وبين ازدياد النفوذ الحبشي والبيزنطي في بلاده، فاضطهد المسيحية، ولكنه في الواقع كان يعمل ضد الأحباش والبيزنطيين ويمكن القول:

"إن سياسته اتجهت نحو الفرس فهناك معلومة تشير إلى التحالف مع الحيرة والفرس فلقد أجهد الحميريون في سياستهم الموجهة ضد النفوذ النصراني، البيزنطي والتي كانت دائبة على اضطهاد النصارى، جهدوا في أن يحصلوا على تأييد الحيرة التي كانت بمقدورها بما لها من قوة خاصة وبالمعونة الفعالة من جانب إيران أن تقف في وجه بيزنطة وتحبط مساعيها لبسط نفوذها على طريق الخليج وعلى البحر الأحمر أيضاً، كذلك كان على المنذر أن يسوي أمره مع نصارى دولته، وفوق هذا فقد وعد ذو نواس أن يعاون المنذر بثلاثة آلاف دينار<sup>(٤)</sup>".

(١) الشهداء الحميريون 25- 26- 49- 50

(٢) الشهداء الحميريون 61- 119.64

(٣) الشهداء الحميريون 83

(٤) بيغوليفسكي (نينا فكتورفنا) العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن 4 حتى 6م ترجمة صلاح

على كل حال أحدثت حادثة نجران صدى عميقاً عند ملكي النصرانية. نجاشي الحبشة، وإمبراطور بيزنطة، وأثارت غضبهما على ذي نواس، وكانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، فحاول ذو نواس أن يجد سنداً من الفرس وعماهم اللخمين<sup>(٤٤)</sup> وأن يحصل في الوقت نفسه على النفوذ والمكانة بين القبائل ولقد كان بوسعه أن يجد التعضيد من يهود الحجاز لأجل توسيع أملاكه مستقبلاً في اتجاه بيزنطة<sup>(٤٥)</sup>، إلا أنه لم تكن لديهم إمكانيات عسكرية تسمح بذلك.

والجدير بالذكر، أن الدوائر النصرانية بالشرق وعلى رأسها الأساقفة الذين اجتمعوا بالحيرة، عملت على إثارة دعاية عنيفة ضد ذي نواس، منهم شمعون الأرمي الذي دبح ثلاث رسائل عن أحداث حمير، مجد فيها الشهداء النجرانيين<sup>(٤٦)</sup>، وكان يتوق إلى جمع كلمة نصارى البحر الأحمر بحيث يسوق هذا إلى عمليات حربية يشارك فيها الأكسوميون، والغساسنة وغيرهم من الشعوب النصرانية الأخرى، هذا المشروع الذي قد يسوق تحقيقه إلى احتواء حمير اليهودية بين فكي كماشة، بل إلى خلق قوة سياسية في الشرق الأدنى، تستطيع الوقوف على قدم المساواة مع الدولتين الكبيرتين أي بيزنطة وإيران، قوة تستند على العقيدة المونوفيزية، ومن المفروض أن يكون خلفها ملك أكسوم<sup>(٤٧)</sup>.

ولعله من المحتوم أن يحدث رد فعل مباشر على نشاطات ذي نواس من أثيوبيا بالذات، ذلك أن ذا نواس هاجم قبل كل شيء السيادة الأكسومية ولقد أتيح للأكسوميين الوقت الكافي لغزو بلاد العرب الجنوبية، وعلى الرغم من ذلك لم يحرك الأكسوميون ساكناً قبل عام 525 م فما هي أسباب ذلك؟

تشير قرائن الأحوال إلى أن الحرب مع حمير أعاقها أحداث داخلية، وهي في أغلب الظن "نشوب حرب أهلية"<sup>(٤٨)</sup>.

---

الدين عثمان - الكويت 1985 ص 103- 104 يختصر إلى بيغوليفسكيا العرب على حدود بيزنطة وإيران.

(1) الشهداء الحميريون ص 86- 97- 98

(2) كوبيشانوف الشمال الشرقي الإفريقي ص 50

(3) الشهداء الحميريون ص 23- 42- 48- 59 وينظر كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 52

(4) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 53

(5) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 60

يشير إلى هذا رقيم لكالب إلى أصبحت، تم الكشف عنه في وقت غير بعيد بأكسوم نشره اشنايدر<sup>(١٤)</sup>.

ولكن ما إن هدأت الأحوال في أثيوبيا، ودعم إلا أصبحت سلطته بأثيوبيا حتى أضحي واضحاً أن أكسوم ستكون مهيئة في المستقبل القريب للقيام بعمليات عسكرية بالجنوب العربي.

ولكن كيف علمت أكسوم بحادثة نجران؟ تقول المصادر العربية أن رجلاً اسمه دوس ذو ثعلبان شغل دوراً في إخبار النجاشي بما فعل ذو نواس بأهل دينه<sup>(١٥)</sup>، وطلب منه المسير لليمن<sup>(١٦)</sup>.

وفي رواية لليعقوبي ورد فيها بعد ذكر حادثة الأخدود بقوله: "فسار رجل منهم إلى النجاشي وهو على دين النصرانية، فوجه النجاشي إلى اليمن بجيش عليهم رجل يقال له أرياط وهم في سبعين ألفاً، ومع أرياط في جيشه أبرهة الأشرم<sup>(١٧)</sup>، وفي مصادر أخرى، أن دوس ذا ثعلبان سار إلى ملك الروم، وأخبره بما حدث، فكتب هذا إلى النجاشي ملك الحبشة، فبعث بأرياط في جنود عظيمة<sup>(١٨)</sup>."

وقد أورد الطبري رواية مماثلة، إلا أنه أضاف عليها أن قيصر كتب إلى "ملك الحبشة

---

(1) كوبيشانونف: الشمال الإفريقي ص 61 - 62 وما بعد نقلاً عن اشنايدر.

(2) وهب بن منبه: التيجان ص 301-302، الحميري: ملوك حمير ص 148، الحميري (نشوان بن سعيد) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم عالم الكتب بيروت 1/247-257. يختصر إلى حميري شمس العلوم، حميري (نشوان بن سعيد) منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم - اليمن وزارة الإعلام ط2 مصورة 1981 م ص 115-116 يختصر إلى منتخبات في أخبار اليمن، الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص 113، ابن قتيبة: المعارف ص 277. الأصمعي (محمد عبد الجواد) العرب وأطوارهم، مطبعة الجمالية مصر 1/74 يختصر إلى الأصمعي العرب وأطوارهم جميل: محاضرات 89، عابدين: بين الحبشة والعرب ص 49.

(3) وهب بن منبه: التيجان ص 301.

(4) تاريخ يعقوبي 1/199-200 وينظر: الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء 113 ابن بكار (أسكندر بن يعقوبي) نهاية الأرب في أخبار العرب مرسيليا 1853 ص 19 يختصر إلى ابن بكار: نهاية الأرب.

(5) الأزرقي: أخبار مكة 1 / 135، النويري: نهاية الأرب 15 / 304-305، الدينوري الأخبار الطوال 51، شيخو: النصرانية وآدابها ص 60 وقد ورد أسم دوس ذو ثعلبان في بعض المصادر باسم أمية. الشهداء الحميريون 97، بر صوم مقالات 51.

يذكر له حقه، وما بلغ منه، ومن أهل دينه، ويأمره بنصره وطلب ثأره ممن بغى عليه، وعلى أهل دينه، فلما قدم دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر على النجاشي صاحب الحبشة، بعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر عليهم رجلاً منهم من أهل الحبشة يقال له أرياط<sup>(٤٤)</sup> "وذكر في رواية أخرى أن ملك الروم أرسل سفناً تمتد النجاشي<sup>(٤٥)</sup>."

توضح الروايات المتقدمة، أن دوس ذا ثعلبان، استجبد بالروم أو الأحباش فلو كان الاستجداد بالروم فكيف له أن يسير ويقطع المسافات الطويلة ليصل إلى قيصر، ومن هو ذو ثعلبان حتى يسمح له بمقابلة قيصر وما سمع عن مراسيم الأبهة والجلال والعظمة في البلاط الرومي؟ وكيف يتسنى لشخص مثل ذي ثعلبان التفاهم مع قيصر في أمر هام مثل هذا الأمر؟.

يمكن الفرض أن الرجل سار إلى أحد حكام بلاد الشام، فوجد هذا الحاكم أن طول الشقة لم تسمح بتدخل ملك الروم بشكل مباشر، خشية من فتح جبهة مع الفرس خاصة وأن الإمبراطوريتين على صراع دائم بينهما، وكل واحدة منهما تطمح في خيرات البلاد العربية. وبما أن الفرصة حانت فالحبشة إخوانهم في الدين. وبذلك يحققون ما تصبو إليه أنفسهم بالاشتراك في إرسال أسطول يمددهم في مهمتهم، ودون تأليب الفرس عليهم، وأن الأحباش سيحلوا على اليمن بالاتفاق مع البيزنطيين للاستيلاء على الطرق التجارية وتأمين حركة تجارهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أرادوا الوقوف دون تقدم الفرس الذين كانوا يطمعون بالسيادة والهيمنة على المنطقة عن طريق الخليج وعمان، حيث قرب المنطقة منهم جعلت المنافسة حينئذ قوية بينهم وبين البيزنطيين وقتذاك.

يضاف إلى ما تقدم أن الاستجداد بالأحباش ربما كان لأسباب كنسية لأنه كان من غير المعقول الاستجداد بالروم في الوقت الذي كانوا (الروم) يضطهدون في بلادهم إخوانهم الأرثوذكسيين بضراوة لاهوادة فيها. " ألم يكن اضطهاد يوسطينوس بالذات مدعاة لتلك

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 124/2 - 125، وينظر أيضاً: ابن الأثير: الكامل في التاريخ 431/1، لابن كثير: البداية والنهاية 208/2، نافع: عصر ما قبل الإسلام 85.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 142/2، المقدسي: البدء والتاريخ 184/3، جواد: تاريخ العرب 167/3، عابدين (عبد المجيد) بين الحبشة والعرب دار الفكر العربي، ص 49 يختصر إلى عابدين بين الحبشة والعرب.

الجرائم الشنعاء التي ارتكبتها اليهود في حق الارثوذكسيين<sup>(١)</sup> .

فطلب النجدة إنما كان من نجاشي الحبشة ، لا من إمبراطور بيزنطة<sup>(٢)</sup> .

ومن ثم فإن العدد سبعون ألفاً مبالغ فيه لأن مثل هذا العدد يشكل عبئاً على السكان المحليين مما يثير شعور السخط ضد الأحباش لدى شطر معين من السكان وبالتالي ليس لدى الحبشة أو بيزنطة إمكانيات كافية لتجنيد مثل هذا العدد الكبير أو حتى أقل من ذلك بكثير<sup>(٣)</sup> فضلاً عن السفن لنقله وسلاحه وعتاده.

أضف إلى ذلك أن الحميريين كانوا يومذاك تحت وصاية نجاشي الحبشة الذي ترك حامية حبشية في ظفار بعد الحملة الأولى على اليمن وقضى عليها اليهود<sup>(٤)</sup> ، فكيف يستجدون ببيزنطة والأحباش في ديارهم؟.

ومما يؤكد هذا قول مسروق في رسالته إلى المنذر ملك الحيرة " إن الملك الذي كان قد نصبه الأحباش في بلادهم مات ، وأدرك الشتاء ، ولن يقدر الأحباش أن يخرجوا إلى بلادهم ، لينصبوا ملكاً مسيحياً ، كما اعتادوا فتملك هو على سائر بلاد حمير " .

أي أن الأحباش بعد الحملة الأولى تركوا قوات حبشية في اليمن وملكوا عليها مسيحياً ، وشاعت الظروف ، ومات هذا الملك فاستولى ذو نواس على الملك لعدم استطاعة الأحباش العبور إلى اليمن أثناء الشتاء.

ويكون الفرض كما ذكرت المصادر غير العربية أن الروم علموا بما فعله ذو نواس إبان وجود سفارة رومية في ديار النعمان بن المنذر أمير الحيرة ، تقابلت مع وفد ذي نواس<sup>(٥)</sup> ، وبالتالي عرض إمبراطور بيزنطة على الإلاصبحة القيام بهجوم مشترك على حمير<sup>(٦)</sup> . " عن طريق حاكم مصر ، فكانت الحملة ترمي إلى إرسال قوات بيزنطية إلى

(1) الشهداء الحميريون ص 80 يوسطنوس آي جستنيان

(2) الشهداء الحميريون ص 81 - 113

(1) استشهاد الحارث ص 406 ذكر ان العدد خمسة عشر ألفاً .

(2) الشهداء الحميريون ص 113

(3) استشهاد الحارث ص 400 ملحق بكتاب كوبيشانوف الشمال الشرقي الإفريقي وينظر الشاعر: (محمد

فتحي) السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية الهيئة المصرية العامة للكتاب 1989 ص 177

حاشية .

(4) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 70

أثيوبية بطريق البر مجتازة مصر، لتتضم إلى الأكسوميين، ثم تنزل القوتان في الجنوب العربي.

وشطر من الطريق المقترح، كان على القوات البيزنطية أن تجتاز، مخترقة أراضي النوبيين، والبعث المرتبطين سياسياً بطريقة أو أخرى مع الإمبراطورية البيزنطية ومملكة أكسوم، وهذه الخطوة، لم توضع موضع التنفيذ بسبب وعورة الطريق<sup>(٤)</sup>.

ولكن ألا يعقل أن السبب الأساسي كان عدم رغبة الأكسوميين في السماح لقوات أجنبية أياً كانت بدخول أراضيهم، حتى ولو كان الأجانب حلفاء لهم.

فأقلع الإمبراطور البيزنطي مضطراً عن فكرة التدخل المباشر في شؤون الحميريين والأكسوميين، واكتفى بإمداده بأسطول.

وتهيأ الوضع بالجنوب العربي لنزول القوات الأثيوبية<sup>(٥)</sup> وعجز ذو نواس عن القضاء على الثوار، إذ ساندتهم السكان المحليون، وهرع إليهم فيما يبدو النصاري، وغيرهم من الساخطين من جميع أنحاء اليمن<sup>(٦)</sup>.

ووجد ذو نواس نفسه ببساطة وسحق حرب أهلية، اتخذ فيها رعاياه موقف الحياد، وانضم البعض إلى أعدائه.

وبهذا كان كل شيء معداً للغزو، فأبحر الأحباش في سفنهم من (بلاد ناصع وزيلع)<sup>(٧)</sup>، وحطوا على ساحل زبيد من أرض اليمن<sup>(٨)</sup>، فقامت المعركة على ساحل عدن<sup>(٩)</sup> ويقال إن السفن اجتمعت في ميناء يقال له غبزا<sup>(١٠)</sup>.

وكان جوهر الخطوة الأثيوبية فيما يبدو، هو القيام بهجمة مفاجئة في آن واحد على

---

(1) PIGLEVSKIA, N,V, VIZANTIA NA PUTIAKG V TndiN VOT. 2.1951,P,298,346,bRief PiguTevsKiA : Vizantia Putiakh

(2) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص71

(3) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص73

(4) ناصع وزيلع من بلاد الحبشة، ياقوت: معجم البلدان مادة ناصع وزيلع

(5) المسعودي: مروج الذهب 52/2، سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية 158

(6) ابن بكار: نهاية الأرب ص19، الدينوري: الأخبار الطوال ص51

الديار بكري (حسين بن محمد بن الحسن) تاريخ الخميس في أحوال أنفوس نفيس ص193 يختصر إلى

تاريخ الخميس، ياقوت: معجم البلدان: مادة عدن، نافع: عصر ما قبل الإسلام ص85.

(7) استشهاد الحارث ص405 ملحق بكتاب كوبيشانوف الشمال الشرقي الإفريقي

أهم نقطتين استراتيجيتين بالساحل<sup>(٤٤)</sup>، وقد اجتمع نجاح الخطة على فرض مؤداه أن ذا نواس لن يستطيع الاعتماد على المساندة المطلقة لأقوال المناطق الساحلية<sup>(٤٥)</sup>.

وبالفعل لم يتلق ملك حمير العون إلا من الحميريين وحدهم، ومن أقيال الأرحبيين (بطن من همدان) أما زعماء بقية القبائل، فلم يعاضدوا ذا نواس، ورفضوا إطاعة أوامره<sup>(٤٦)</sup>.

تحكي المصادر السريانية أن الحميريين تحملوا خسائر فادحة في المعركة التي دارت عند الساحل وكان نصيبهم الفرار والهزيمة<sup>(٤٧)</sup>.

" فلما رأى ذو نواس افتراق قومه، وانهزامهم ضرب فرسه، واقتحم به البحر، فكان آخر العهد به<sup>(٤٨)</sup>."

هذا ما قالته المصادر العربية، أما المصادر الأخرى، فإنها ترى أنه سقط حياً في أيدي الأحباش فقتلوه<sup>(٤٩)</sup>، وهناك شعر ينسب إلى علقمة ذي جدن<sup>(٥٠)</sup> هو:

أما سمعت بقتل حمير يوسف      أكل الثعلب لحمه لم يقبر<sup>(٥١)</sup>

وقد استدل منه أن ذا نواس لم يفرق في البحر بل قتل قتلاً.

ومن التوفيق بين مختلف المصادر: يمكن القول أن ذا نواس استولى على الملك مستغلاً فرصة موت الملك الحبشي ولم يكتف بذلك فطرده واضطهد جميع الأحباش الذين كانوا في اليمن، فكان هذا سبباً كافياً لتسيير حملة تأديبية له، في الوقت الذي لم يتلق أي عون من أقيال حمير فيما عدا الأرحبيين، فقتل على أيدي الأحباش ورميت جثته في البحر،

(1) استشهاد الحارث ص 406 ملحق بكتاب كوبيشانوف الشمال الشرقي الإفريقي

(2) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 82

(3) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 2/152

(4) استشهاد الحارث ص 410 وما بعد ملحق بكتاب كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي

(5) ابن هشام: السيرة النبوية 1/38 - 39. وينظر الحميري: ملوك حمير 149. ابن بكار: نهاية الأرب ص 19. نويري: نهاية الأرب 15/305. ابن الأثير: الكامل في التاريخ 1/432، الأصبعي: العرب

وأطوارهم 1/75، المقدسي: البدء والتاريخ 3/183، خضري: تاريخ الأمم 1/41

(6) استشهاد الحارث ص 422 ملحق بكتاب كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي، الشهداء الحميريون

ص 121، كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 83

(7) علقمة ذي جدن شاعر يماني. الهمداني: الإكليل 2/296

(8) جواد: تاريخ العرب 3/191

ودخل الأحباش البلاد وانتقموا من الحميريين، وهدموا قصور اليمن، مثل قصر سلحين وبينون، وغمدان<sup>(لخ)</sup>، وفي ذلك يقول الشاعر علقمة ذي جدن<sup>(ب)</sup>:

أو مارأيت وكل شيء هالك بينون خاوية كأن لم تعمّر

أو مارأيت وكل شيء هالك سلحين خاوية بظهر الأدبر

أو مارأيت بني عطاة باهتا قد أصبحت تسفي عليهم صرصر

أو ما سمعت بحمير وقصورها أمست معطلة مساكن حمير

فأبكيهم أما بكيّت لعشر لله درك حمير من معشر

ويتحدث رقيم سميفع أشوع من حصن الغراب عن المعركة على ساحل البحر، ويقتصر على الألفاظ:

"وأرسل الأحباش حملتين إلى بلاد حمير، قتلوا أثناءها ملك حمير، وأقياله من الحميريين والأرحبيين<sup>(ت)</sup>".

من المتفق عليه أن ذا نواس، كان آخر ملوك حمير ولكن حمزة الأصفهاني ذكر أن ذا جدن بن ذي نواس تولى الملك من بعده<sup>(ب)</sup>.

المهم أنه بعد انتصار الأحباش على الحميريين أقام النجاشي إلا أصبحت على اليمن ملكاً حميرياً، اسمه السميفع أشوع، اختاره النجاشي من بين نصارى حمير، ليكون ملكاً، على أن يدفع إلى الأحباش جزية سنوية<sup>(س)</sup>، فكون السميفع أشوع مسيحياً ويدفع

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 125/2

(2) وهب بن منبه: التيجان ص302

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص15

(3) كويشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص83-84

(4) الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص113، وينظر ابن بكار: نهاية الأرب ص19.

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص160.

(5) الشهداء الحميريون ص77-122.

جواد: تاريخ العرب 182/3-194.

نيلسن: التاريخ العربي القديم ص109.

الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية 178.

جزية سنوية لهم فهو مرتبط بالأحباش دينياً وإدارياً، ولكنه لم يكن ملكاً مستقلاً كل الاستقلال يتصرف بملكه كيفما يشاء، بل كان في الواقع تابعاً لحكومة أكسوم<sup>(٤٤)</sup>. ومما يؤكد هذا أنه كان يدعو إلا أصبحه (نجاشي الحبشة) في رقيمه "أسيادي نجاشيو أكسوم"<sup>(٤٥)</sup>، فهل تتصيب السميغ على حمير لكونه من أهل البلاد أم ترضيه لبيزنطة الطامعة في الجنوب، كون السميغ حليفاً لها.

والجدير بالذكر أن الرواية العربية لا تعرف شيئاً عن السميغ أشوع، وتجعل مكانه أرياط كبير الأثيوبيين باليمن<sup>(٤٦)</sup>.

على كل حال، استغل الأقبال الوضع، حيث أحسوا بأنهم مستقلون تمام الاستقلال عن ملكهم الذي لم يكن متمتعاً بالسيادة الكاملة.

وشكل الغزاة المنتصرون مجلساً استشارياً، كان من بين مهامه الرسمية حماية الملك من أعدائه<sup>(٤٧)</sup>، وكان على ملك حمير أن يعمل حساباً لقرارات هذا المجلس، ومن الممكن أن رئيس المجلس الاستشاري للقادة الأثيوبيين كان مهثلاً خاصاً لملك أكسوم ولعله أرياط. إذاً كان القواد الأثيوبيون باليمن مستقلين عن سميغ أشوع، الذي كان سلطانه مهتراً، لدرجة أنه سقط بسرعة، ومرد سقوطه ليس إلى هجوم خارجي، بل إلى ضعفه الذاتي<sup>(٤٨)</sup>.

أما الأخبار العربية، فتقدم حكاية نصف أسطورية مفادها أن قائد الثورة أبرهة الأشرم قتل القائد أرياط في مبارزة، تقول الرواية:

"وانصرفت الحبشة فرقتين إحداهما مع أرياط، والأخرى مع أبرهة، واصطفوا للحرب، فدعاه أبرهة للبراز، فبرز عليه، فدفع أرياط عليه حربته للحرب، فوقعت في وجه أبرهة فشرمته، ولذلك سمي الأشرم، وضرب أبرهة أرياط بالسيف على مفرق رأسه فقتله، وانحازت الحبشة إليه، فملكهم وأقره النجاشي على سلطان اليمن<sup>(٤٩)</sup>". ربما هذه

---

(1) جواد: تاريخ العرب 191/3-192-193، جميل: محاضرات 91

(2) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 89

(3) الدينوري: الأخبار الطوال ص 51

(4) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 90

(5) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 91

(6) الدينوري: الأخبار الطوال ص 51 - 52، وينظر الأزرق: أخبار مكة 1/137 تاريخ اليعقوبي 1/200.

ابن بكار: نهاية الأرب 21. النويري: نهاية الأرب 15/306. الطبري: تاريخ الرسل والملوك 2/129

المنافسة عنت المنافسة بين الأقبال والشعب، فأرياط مثل الأعيان وأبرهة مثل الشعب، ولابد في النهاية من انتصار الشعب، فما هو موقف بيزنطة من هذه الأحداث، عندما أطاح أبرهة بسميفع اشوع (أرياط) الذي دخلت معه في اتصال وثيق، والذي جهد بدوره لارضاء مطالب السياسة البيزنطية؟ أي أن بيزنطة فقدت حليفاً لها مباشراً في العربية الجنوبية فماذا اتخذت لأجل ذلك؟.

في البداية أخذت موقفاً عدائياً من أبرهة، ولكنها في الوقت نفسه كانت تخشى منافسة أكسوم التي كانت تسعى وتجهد بطبيعة الحال لاستعادة نفوذها المهتز بالجزيرة العربية حيث أرسل النجاشي إلا أصبحت بقواته مرتين ضد أبرهة ولكن كان نصيبها الإخفاق في المرتين<sup>(١٤)</sup>.

وقد حفظت الرواية العربية أخبار الصراع بين نجاشي الحبشة، وأبرهة، والمفاوضات التي أجراها مع القوات التي أرسلت ضده، وإن كان في الحقيقة مع القائد أرياط وذلك بقوله له: "إنه يجمعني وإياك البلاد والدين والواجب علي وعليك أن تنظر لأهل بلادنا وديننا ممن معي ومعك<sup>(١٥)</sup>" فأبى أرياط وقتل في المعركة.

وجهد أبرهة بعده لمصالحة ملك الحبشة، فكتب إليه "إنما كان أرياط عبدك، وأنا عبدك، قدم علي يريد توهين ملكك، وقتل جندك، فسألته أن يكف عن قتالي إلى أن أوجه إليك رسولاً، فإن أمرته بالكف عني وإلا سلمت إليه جميع ما أنا فيه، فأبى إلا محاربتني، فحاربتة فظهرت عليه، وإنما سلطاني لك، وقد بلغني أنك حلفت، ألا تنتهي حتى تهرق دمي، وتحط بلادتي وقد بعثت إليك بقارورة من دمي وجراب من تراب أرضي، وفي ذلك خروجك من يمينك، فاستتم أيها الملك يدك عندي، فإنما أنا عبدك، وعزي عزك<sup>(١٦)</sup>".

التأمل بهذه الرواية، والنظر إلى المظهر الخارجي لكل من أرياط، وأبرهة، يظهر أن الحركة التي تزعمها أبرهة حركة اجتماعية سياسية، موجهة في الغالب ضد استبداد

---

المسعودي: مروج الذهب 53/2. ابن الأثير: الكامل في التاريخ 432/1-433. ابن كثير: البداية والنهاية 210/2-211، نافع: عصر ما قبل الإسلام ص86، جميلي: محاضرات ص91، سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص16.

(1) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص114

(2) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 128/2.

(3) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 128/2

الأقيال، فمظهر أبرهة الخارجي، يبين أنه كان ينتمي تماماً إلى طبقة العوام، فقد كان "رجلاً قصيراً لحيماً حادراً<sup>(١٤)</sup>" ولعله أعور، أو بدون أنف، ومن هنا كنيته بالأشرم، وصور أرياح على نقيش هذا، على أنه "رجل عظيم، طويل، وسيم<sup>(١٥)</sup>" وذلك بما يتفق مع رجل من الأعيان.

على كل بعد أن قضى أبرهة على المتمردين والعصاة، شرع في تدعيم وضعه بالبلاد بطريقة جدية، فاهتم بإصلاح البلاد، وقد سجل ذلك في نقش عرف بنص أبرهة وهو نص طويل يتألف من (136) سطراً سجل فيه ترميمه لسد مأرب سنة 542<sup>(١٦)</sup> وهو يتضمن:

1 - أن أبرهة لقب نفسه باللقب الرسمي للملك حمير في دولتهم الثانية، مع إضافة عبارة تشير إلى أنه نائب ملك الجعفرين. ملك سبأ وذي ريدان، وحضر موت، ويمنت، وأعرابها في النجاد، وفي تهامة<sup>(١٧)</sup>.

2 - يشير النص إلى تصدع سد مأرب، وتهدم أجزاء منه، ومبادرة أبرهة إلى ترميمه حيث جند لهذا العمل عمالاً من أهل البلاد، وصرف على ذلك مبالغ طائلة فلما انتهى من إصلاحه أقام احتفالاً عظيماً. دعا إليه مندوبين من كافة الدول، وقد قدم احتفال ترميمه وفود من النجاش والروم والفرس، كما حضر رسل من المنذر ملك الحيرة، والهارث بن جبلة، وأبو كرب بن جبلة كما حضره بعض رؤساء القبائل<sup>(١٨)</sup>.

فما الذي دعاه إلى إقامة هذا الاحتفال؟ للهيمنة على المنطقة مبرراً قوته أمام الجميع، أم لضمان ولائهم أو على الأقل ليامن جانبهم فلا يؤلبهم عليه؟ أم يخطط ليحل محل الحبشة وسيطر على المنطقة؟

من الملاحظ أن النص قدم النجاشي على ملك الروم فأمر لا بد منه لسيادة الحبشة، ولو بالاسم على اليمن، واعتراف أبرهة بسيادة مملكة أكسوم عليه، وفي إرسال مندوب عن النجاشي إلى أبرهة في مهمة سياسية دليل ضمني على انفراد أبرهة بالحكم، واستقلاله في إدارة اليمن حتى صار في حكم ملك مستقل، يستقبل وفود الدول ورسولهم،

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 2/129

(2) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 2/129

(3) شيخو: النصرانية وآدابها 1/62 - 63

(4) بافقيه: في تاريخ اليمن ص167

(5) شيخو: النصرانية وآدابها 1/63، جواد: تاريخ العرب 3/202، عابدين: بين الحبشة والعرب ص6

ومن بينهم وفد ملك قامت حكومته بغزو اليمن، والاستيلاء عليها، ثم تقديم ملك الروم على ملك الفرس، فلصلة الدين والسياسة بين الحبشة والروم واليمن. ثم إن للروم الأسبقية والأفضلية على الفرس<sup>(١)</sup>.

ولعل سرد أسماء السفارات تتناسب ومكانة الحكومات التي كانت تمثلها آنذاك، فرسول مملكة اللخمين التابعة للفرس، ورد ذكره قبل رسول الغساسنة الخاضعين لبيزنطة، وفي ذلك دليل على الأهمية المتزايدة للخميين، والتي تدعمت على حساب مملكة الكنديين، التي تهاوت أركانها<sup>(٢)</sup>.

ويبدو واضحاً أن الغرض الحقيقي من حضور هؤلاء هو الاقتناع بمكانة أبرهة وأهميته نظراً لتحكمه في هذه المنطقة الهامة من شبه الجزيرة العربية. في وقت كان العالم فيه منقسماً إلى معسكرين، معسكر شرقي (الفرس)، وآخر غربي (بيزنطة).

وأن مجيء هؤلاء المبعوثين إلى أبرهة، لم يكن لمجرد التهنئة أو المجاملة، أو ما شاكل ذلك، إنها كانت لأمر أخرى أبعد من هذه وأهم، هي جر أبرهة إلى هذا المعسكر أو ذاك، وترجيح كفة على أخرى، وخنق التجارة في البحر الأحمر، أو توسيعها من وراء ذلك، فإما نكبة تحل بمؤسسات الروم وتجاراتهم، وإما ربح وافر يصيبهم لا يقدر<sup>(٣)</sup>، حيث نجد أبرهة بعد ذلك يسير حملة إلى مكة بتوجيه من بيزنطة لاتصال ملكه بملك الروم، وبالتالي الهيمنة على البحر الأحمر<sup>(٤)</sup>.

3 - ويتضمن النص حديثاً عن ثورة قام بها يزيد بن كبشة أحد رؤساء حمير كان أبرهة قد أنابه عنه، واستخلفه على قبيلة كنده، وانضم إلى يزيد أقيال حميريون هم ذو سحر ومرة، وثمامة، وحنش ومرشد، وخنف، وذو خليل، ويزن، بالإضافة إلى القيل معد يكرب بن سميغ، وإخماد هذه الثورة سير أبرهة جيشاً هزمه يزيد، واستولى على بعض المواقع، فعزز أبرهة قواته بقوات أخرى من الأحباش والحميريين وجهها إلى مواطن

(1) جواد: تاريخ العرب 203/3

سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص16

(2) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص134

(3) جواد: تاريخ العرب 202/3، حتي: تاريخ العرب ص204.

(4) ينظر في فترة حملة أبرهة على مكة من هذا الفصل.

الثورة في أودية سبأ وصرواح، وانتهت الحملة باستسلام يزيد<sup>(٤٤)</sup>.

ويبدو أن الثورة التي شب أوارها ضد أبرهة كانت بسبب تزايد السخط على سياسته، وهو ذلك السخط الذي نضج لوقت طويل بين دوائر معينة من سكان اليمن<sup>(٤٥)</sup>.

فأبرهة بنظر إلى التوسع شمالي اليمن، وما إخماده ثورة يزيد إلا لهذا الغرض، حيث تلا هذه الثورة حملة مريغان عام 547 م<sup>(٤٦)</sup>، ثم تلاها حملة الفيل 570 م وفي كل ذلك دليل واضح على أن أبرهة كان ينوي ويخطط لتأسيس دولة خاصة به مستقلة كل الاستقلال عن الحبشة وبيزنطة وفارس وقد عمل على تحقيق ذلك بمساعدة بيزنطة.

المهم أن الأحباش أفلحوا في قتل ذي نواس، وتدعيم المسيحية، والقضاء على آثار الحكم اليهودي في اليمن، إلا أن ثورات من نوع آخر قد بدأت تندلع بعد فراغ الأحباش من هذه الحرب. ذلك أن الأحباش قد أتاحوا للنفوذ البيزنطي أن يقوى ويشدد في اليمن. باستيلائهم عليها، وهذا ما لم يرضه الفرس الذين عملوا جادين على بث روح الحرية، وتميئتها في نفوس السكان العرب، ولقد أفلحوا في خلق شعور النفور من الأحباش المستعمرين في نفوس أهل اليمن، ولا أدل على ذلك مما كتب في أسطورة على الجدران في بلاد حمير "لن ملك ذمار، لحمير الأخيار، لن ملك ذمار للحبشة الأشرار، لن ملك ذمار، لفارس الأحرار، لن ملك ذمار لقريش التجار"<sup>(٤٧)</sup>.

لذا فإن كان هذا من حافظة التاريخ، إلى أنه لدلالة على تتابع الملك على اليمن، وقد كانت مدة حكم الأحباش لليمن اثنتين وسبعين سنة<sup>(٤٨)</sup>.

فحمير لهم الخيار، أما الأحباش فأشرار، والفرس أحرار، وقريش تجار، ومن

---

(1) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 132 - 133 وينظر: جواد: الفصل 484/3، العلي:

محاضرات 30/1، سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية 163، بافقيه: في تاريخ اليمن ص 168.

(2) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 132

(3) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 135 - 136

(4) ياقوت: معجم البلدان مادة ذمار - والذمار الحصن الوثيق.

ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص 145

(5) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 139/2، ابن بكار: نهاية الأرب ص 25 والنويري: نهاية الأرب 311/15

ابن الأثير: الكامل في التاريخ 450/1 تاريخ الخميس ص 193 المسعودي: مروج الذهب 57/2، ابن كثير

البداية والنهاية 225/2 شلبي (أحمد) التاريخ الإسلامي، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة ط 4

القاهرة 1966، ج 1 ص 53 يختصر إلى شلبي: التاريخ الإسلامي.

المحتمل أنه كتب ذلك في الفترة التي تلت فترة حكم الأحباش لليمن، أي الفترة التي وجد فيها الفرس، ووضعوا أقدامهم على جنوب شبه جزيرة العرب.

## (2) حملة أبرهة على مكة (الفيل)

قبل الحديث عن حملة الفيل، لا بد من لفت الانتباه إلى الوضع العام آنذاك، فقد تزايد نفوذ المنذر الثالث ونما دور العرب العسكري في القرن السادس، حيث شرع العرب في تجميع كلمتهم، مستغلين حدة النزاع بين الدولتين المتصارعتين، وكان العداء الدموي الذي نشب بين اللخمين، والغساسنة، صفحة من صفحات ذلك النزاع، فالغساسنة الذين هزموا في سلسلة لا تتقطع من المعارك على يد اللخمين وفقدوا منطقتة تلو الأخرى من أراضيهم، لم يلبثوا أن نجحوا في توحيد العرب الخاضعين لبيزنطة تحت لوائهم، واستطاعوا بذلك صد غارات اللخمين، أما اللخميون أنفسهم، فقد بسطوا سلطانهم وسيطرتهم على كل القبائل العربية بشمال شرقي الجزيرة العربية، وبأرض الجزيرة بل وبالبحر أيضاً ببعض المواضع التي ينزلها السريان الشرقيون، وكان مما انتقل إلى سلطانهم، زعامة الحلف القبلي لمعد الذي كان على رأسه عمرو بن المنذر الثالث. وكان ضد حلف معد هذا أن وجه أبرهة بحملته 547 م. ذكر هذه الحملة رقيم تم العثور عليه قرب بئر مريغان بجنوب الحجاز<sup>(1)</sup>.

يذكر هذا الرقيم أن قبيلة عامر "من المحتمل أنهم عامر بن صعصعة الذين قتلوا تهامة الحجاز على ساحل البحر الأحمر"<sup>(2)</sup>. تمردت في زمن تلك الحملة فأرسل أبرهة ضدهم وحدات من البدو وعلى رأسها الكندي أبو جبر، وبشر بن حصن من قبيلة مذحج فاصطالحا عامراً، وفي خلال ذلك كان أبرهة قد اشتبك بقواته الرئيسية - الأرجح أن المقصود بذلك الوحدات الحميرية والأثيوبية - في معركة مع معد عند حلبان الواقعة على بعد حوالي 420 كم إلى الشمال من بئر مريغان وهزمهم، فاعترفت معد بسيادة أبرهة وقدمت له الرهائن. على أن عمرو بن المنذر ظل عاملاً على معد.

إن أبرهة بعد استيلائه على اليمن وإقامة احتفال السد وترميمه يظهر هذا أنه كان على اتفاق مع بيزنطة، وهي وأبرهة كلاهما يريد المنطقة الغربية فالتقت مصالحهما مع

(1) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي 135-136

(2) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص136

بعض وما حملة يزيد بن كبشة - وحملة مريغان ثم حملة الفيل إلا للهيمنة على هذه المنطقة في سياسة مدروسة بدقة ضد فارس، وسيتبين ذلك فيما بعد هذه الفقرة.

على أن المعلومات عن حملة مريغان تختلط مع حملة الفيل فتجعل هذه العملية العسكرية لأبرهة على أنها حملة الفيل المشهورة<sup>(١٤)</sup>.

على كل الأحوال، كانت أهم أعمال أبرهة، نشر الدين المسيحي في اليمن ولتحقيق ذلك بنى كنيسة في صنعاء سماها القليس<sup>(١٥)</sup>. يقال إن الإمبراطور البيزنطي هو الذي أرسل بالصناع ومواد البناء لبنائها<sup>(١٦)</sup>، ورتب أبرهة على خدمتها الكثير، وأراد أن يرفع في بنيانها حتى يشرف منها على عدن<sup>(١٧)</sup>، وفي ذلك تغطية دينية لإظهار مكانة مكة، وقد كتب ذلك كمقدمات لظهور الإسلام.

فلما استتم بنيانها، كتب إلى النجاشي "إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلاً لملك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حاج العرب"<sup>(١٨)</sup>.

أقلق هذا العمل جماعة من النساء<sup>(١٩)</sup>، فقاوموا فكرته، ووقفوا سداً في سبيل تحقيق غرضه، فخرج أحد بني فقيم، ثم أحد بني مالك، حتى أتى القليس، فقعد فيها وتغوط، ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة "فغضب، وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه"<sup>(٢٠)</sup>.

(1) كويشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص136

(2) ابن حبيب: المنق ص70، الأزرق: أخبار مكة 1/137 وما بعد، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 1/442، ابن كثير: البداية والنهاية 261، المقدسي: البدء والتاريخ 3/186، شيخو: النصرانية وأدائها 1/64 نافع: عصر ما قبل الإسلام ص97، جميل: محاضرات ص92، بتنوني: (محمد لبيب) الرحلة الحجازية، المطبعة الجمالية بمصر ط2، 1329 ص28، يختصر إلى الرحلة الحجازية الجارم أديان العرب ص3.

(3) كويشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص127

(4) ياقوت: معجم البلدان مادة قليس، ابن كثير: البداية والنهاية 211-212

سالم: تاريخ العرب والعصر الجاهلي ص165

(5) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 2130

(6) النساء: الذين كان ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل، ويؤخرون ذلك الشهر. ابن هشام: السيرة النبوية 1/45 والناس رئيس الدين عند اليهود وكان يؤخر ويقدم الشهور ويعين مواعيد الأعياد والصيام. ولفنسون: تاريخ اليهود في جزيرة العرب 8.

(7) ابن هشام: السيرة النبوية 1/47 وينظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك 2/131

فلماذا وجدت المقاومة للنصرانية في اليمن، وللنجاشي الذي قضى على ذي نواس من جهة النساء وحدهم، دون الزعماء الوثنيين؟ فهل من المحتمل أن يكون لهؤلاء النساء علاقة باليهودية؟

في الواقع لم يكن هذا سبباً كافياً لتسيير حملة تقطع تلك المسافات وإلى أنه حسب ما يتحدث كوبيشانوف نقلاً عن بروقويوس القيساري بقوله:

"وفيما بعد تمكن إبرام من تثبيت سلطانه بصورة مدعمة، ووعد الإمبراطور يوسطنيان مراراً بأن يغزو بلاد الفرس، ولكنه لم يزحف إلا مرة واحدة، قتل منها راجعاً إلى بلاده، ولم يعد الكرة بعد ذلك (ن)ع".

وبما أنه من العسير غزو بلاد الفرس نفسها فربما عنى المؤرخ بذلك أراضي اللخمين الخاضعة للفرس، ففي هذه الحملة يستطيع أن يعمل حلفاً مع الغساسنة فقد كان عدوهما واحداً وغير مفهوم تماماً ما هي أسباب الحرب بين اليمن ومكة التي كان لأهلها تجارة نشيطة مع اليمن، ولعل المواجهة بين مكة وحمير قد أوجت بها إلى حد ما الديبلوماسية الفارسية واللخمية، وأيضاً الجماعات اليهودية القاطنة ببلاد العرب، والتي كانت لها معاملات مالية مع التجار الأغنياء من قريش.

كذلك من الممكن أن أبرهة أراد أن يخضع لسلطانه المستوطنات التجارية اليهودية بالحجاز<sup>(١)</sup>. وهنا يتضح أن الهدف من تسيير الحملة اقتصادي بغية السيطرة على المنطقة الغربية من الجزيرة العربية، وبالتالي السيطرة على البحر الأحمر ومناذره، والتحكم في المنطقة وتجارها، والاتصال بملك الغساسنة حلفاء البيزنطيين.

أمر أبرهة بإعداد جيش كبير، وتقدم جيشه فيل أرسله إليه النجاشي، وتمر أبرهة على الطائف في طريقه إلى مكة، فبعثت معه رجالاً يدلّه على الطريق، يقال له أبو رغال، وقيل: نفيل بن حبيب الخثعمي، فهلك أبو رغال في موقع يقال له المغمس بين الطائف

---

ابن الأثير: الكامل في التاريخ 1/442، النويري: نهاية الأرب 15/3306

ابن كثير: البداية والنهاية 2/212

نافع: عصر ما قبل الإسلام ص8

(1) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص136 نقلاً عن بروقويوس.

(2) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص147

ومكة، فرجم قبره<sup>(١٤)</sup>. والعرب تتمثل بذلك، قال الشاعر<sup>(١٥)</sup>:

وأرجم قبره في كل عام كرجم الناس قبر أبي رغال

فهل كانت الطائف مؤيدة لأبرهة؟ أم دخلت معه في حلف؟ وما مسوغ عملها هذا؟ ثم لماذا سير أبرهة حملة وممر على الطائف؟ ألم يعرف المكان المقصود بعينه؟ وهل هو بحاجة إلى رجل مثل أبي رغال ليدله على الطريق؟ ولماذا الطائف بالذات وهي مصيف لأهل مكة<sup>(١٦)</sup> ومن ثم فإن لأهل مكة مصالح اقتصادية في الطائف منذ قديم الزمان.

إن مسوغ هذا العمل المصالح الاقتصادية، فمكة بلد تجاري تبوأ مركز الزعامة حسدته عليه الطائف وأرادت في يوم ما أن تترث ذلك المركز، فأن دمر أبرهة مكة وانزاحت من الوجود فحتماً ستبرز الطائف وتسخر كافة إمكانياتها لذلك.

و بالتالي إن نظرة سريعة على المنطقة الغربية تبين لنا أن مرور أبرهة على الطائف خطة سياسية ليضمن ولاءها من جهة وليحافظ على مؤخرة قواته إذا ما هاجم مكة فالتقت بذلك مصالح الطرفين.

لما نزل أبرهة مكة بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود ابن مقصود، فأصاب إبلاً لعبد المطلب، ثم لما اقترب أكثر وأتى أنصاب الحرم. نزل بالموضع المعروف بجب المحصب<sup>(١٧)</sup>. بعث حناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ثم قل له: إن الملك يقول لكم إنني لم آت لحريقكم، إنما جئت لهدم البيت فإن لم تعرضوا دونه بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم فإن لم يرد حربي فأنتي به<sup>(١٨)</sup>.

(1) الأزرقي / أخبار مكة 1/142، الطبري تاريخ الرسل والملوك 2/132 ابن الأثير: الكامل في التاريخ 443/1 ياقوت: معجم البلدان مادة مغمس، ابن كثير: البداية والنهاية 2/213 سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص166 جميل: محاضرات ص93-9.

(2) المسعودي: مروج الذهب 2/54 مقدادي تاريخ الأمة العربية ص16

(3) ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص134 ياقوت: معجم البلدان: مادة طائف.

خربوطلي: الحياة الاجتماعية في الحجاز ص9 رسالة ماجستير غير منشورة.

(4) وهو موضع فيما بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب، وهو موضع رمي الحصباء. ياقوت: معجم البلدان: مادة محصب.

(5) الأزرقي: أخبار مكة 1/143.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك 2/133

ابن الأثير: الكامل في التاريخ 443/1

أن هدم البيت يعود بالفوائد الاقتصادية على أبرهة، ويحول بالتالي أنظار العرب التجارية من مكة كمركز ديني تجاري إلى اليمن، وبذلك تعود لليمن أهميتها التجارية. عندئذ أتاه عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف سيد قريش، فعظمه أبرهة، وهابه وأجله، ثم قال له: سلمي يا عبد المطلب فأبى أن يسأله إلا إبلاً له، فأمر بردها عليه، وقال: ألا تسألني الرجوع؟ فقال أنا رب هذه الإبل، ولليبت رب سيمنعه منك<sup>(١)</sup>.

ثم انصرف عبد المطلب، وأخبر قريشاً الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز في شعف الجبال، والشعاب خوفاً عليهم من معرة الجيش، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستصرونه على أبرهة، وجنده، فقال عبد المطلب، وهو أخذ بحلقة باب الكعبة<sup>(٢)</sup>:

يأرب لا أرجو لهم سواك  
يا رب فامنع منهم حماك  
أن عدو البيت من عاداك  
فامنعهم أن يخربوا قراك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب، باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال، فتحرزوا فيها، ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيه وجهاز جيشه، وأبرهة مجمع لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن، فلما وجهوا الفيل برك بالمغمس فلم يحرك، ونخس بالرمح فلم ينهض، ثم بعث الله على الجيش طيراً مع كل طائر ثلاثة أحجار، فألقته عليهم، فلم ينج منهم أحد<sup>(٣)</sup>.

ابن كثير: البداية والنهاية 21/2

(1) ابن هشام: السيرة النبوية 51/1، الأزرق: أخبار مكة 144/1

الطبري: تاريخ الرسل والملوك 134/2.

المسعودي: مروج الذهب 103/2، النويري: نهاية الأرب 105/15

المقدس: البلو والتاريخ 187/3.

نافع: عصر ما قبل الإسلام ص 87

(2) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 134/2، المسعودي: مروج الذهب 105/2

ابن الأثير: الكامل في التاريخ 444/1، ابن كثير: البداية والنهاية 215/2.

(3) الأزرق: أخبار مكة 145/1 وما بعد والطبري: تاريخ الرسل والملوك 138/2

ابن الأثير: الكامل في التاريخ 445/1، ابن كثير: البداية والنهاية 216/2 - 217، نافع: عصر ما قبل

الإسلام 88

وقد أشار الشاعر أمية بن أبي الصلت<sup>(١)</sup> إلى حادثة الفيل وارتداد الأحباش عن مكة، مشيراً فيه إلى دين الحنيفية<sup>(٢)</sup>.

إن آيات ربنا ثاقبات<sup>(٣)</sup> ما يماري فيهن إلا الكفور  
خلق الليل والنهار فكل ثم يجلو النهار رب كريم  
مستبين حسابه مقصور بهمة<sup>(٤)</sup> شعاعها منشور  
حبس الفيل حتى لازمأ حلقة الجران كما  
ظل يحبو كأنه معقور قطر من صخر ككب مجذور<sup>(٥)</sup>  
ملاويث في الحروب صقور خلفوه ثم ابن عروا جميعاً<sup>(٦)</sup>  
كلهم عظم ساقه مكسور كل دين يوم القيامة عند  
الله إلا دين الحنيفة زور

ويمكن الاستدلال من ذلك على مشاركة ملوك كندة في تلك الحملة.

ولقد ذكر الله تعالى في كتابة العزيز قصة أبرهة وأصحابه، بقوله تعالى: ((ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول<sup>(٧)</sup>)).

استشهد الكثيرون بالآيات الكريمة بأنها دليل على حملة أبرهة على مكة، لكن لدى استقراء الآيات لم تظهر أي إشارة إلى ذلك "ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل"

(1) هو أمية بن عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عنزة بن قيس، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن، ديوان أمية بن أبي الصلت دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ص7 يختصر إلى ديوان أمية.

(2) الحنيفية: دين إبراهيم عليه السلام مشتقة من الحنف وهو الميل، يعني الميل عن الشرك إلى التوحيد والضلال إلى الهدى، ديوان أمية بن أبي الصلت ص8.

(3) ثاقبات: مضيتات ديوان أمية بن أبي الصلت ص47 حاشية

(4) المهامة: الشمس، ديوان أمية بن أبي الصلت ص47 حاشية

(5) مجذور: القليل من اللحم وهو المصاب بالجلدي: ديوان أمية بن أبي الصلت ص47 حاشية.

(6) ابنعروا: تفرقوا، ديوان أمية بن أبي الصلت ص47 حاشية.

(7) سورة الفيل: الآية 1-5

من هم أصحاب الفيل ؟ هل هم أبرهة وجماعته ؟ أم المقصود غيرهم ؟ لم توجد أدنى إشارة إلى اسم أبرهة وجماعته أو حتى إلى مكة.

والجدير بالذكر أن المؤرخين ذكروا في بعض المصادر أن وباء الحصبة، والجذري، أول ما عرف بأرض العرب في عام الفيل<sup>(١)</sup>، وهم يربطون في ذلك بين ما أصاب جيش أبرهة بسبب هذه الطيور الأبابيل وبين هذا الوباء.

أضف إلى ذلك أن الرواية القائلة بأن أبرهة، أراد أن يحول العرب، ويصرفهم إلى القليس رواية لا تتفق والواقع التاريخي آنذاك.

فإن كان أبرهة قد بنى كنيسة نصرانية في اليمن ليأتيها النصاري، لا يستطيع إجبار المشركين على زيارة الكنيسة النصرانية، وإذا كان قد فعل ذلك فإن نطق أمره ينحصر في اليمن. وهي البلاد التي كان يحكمها، ولا يمتد إلى غيرها من المناطق، فمكة لا تغتاز من إنشاء كنيسة نصرانية ولأن مركزها الديني، لا علاقة للنصاري به، كما أنه ليس لأبرهة سلطة عليها فضلاً عن أن هناك عدة بيوت مقدسة، لم يرد في التاريخ خبر استيلاء أهل مكة منها، فلماذا تستاء من القليس، ثم إن الكعبة لم تكن مكان عبادة وحج فحسب، بل كانت رمز وحدة عرب الجزيرة ومفتاح السيطرة على أسواق الحجاز فالسيطرة عليها، أو نقل مركز الثقل هذا يخدم مصالحها، فحرمة الكعبة هي التي تجعل العرب أجمعين يخضون لصاحب مكة، فأبرهة كان يريد بلا شك الاستيلاء على مكة وللاستيلاء على مفاتيح تجارتها، وما بناؤه القليس إلا لانتزاع التجارة من أيدي القرشيين<sup>(٢)</sup>. وعندما أخفق في ذلك نجد في مرحلة لاحقة أن الحبشة تعقد علاقات تجارية مع المكيين، فعبد شمس تاجر مع ملك أثيوبيا<sup>(٣)</sup>، "وكانت أرض الحبشة متجرأ لقريش يتجرون فيها ويجدون رفاهاً<sup>(٤)</sup> من الرزق، وآمناً ومتجرأ حسناً<sup>(٥)</sup>

(١) وهب بن منبه: التيجان ص 303، ابن هشام: السيرة النبوية 56/1، الطبري: تاريخ الرسل والملوك

139/2، نافع: عصر ما قبل الإسلام ص 88، جميل: محاضرات ص 95

(٢) الأفغاني: أسواق ص 107

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 252/2

ابن الأثير: الكامل في التاريخ 16/2،

جواد: المفضل 30/7

(٤) رفاهاً: سعة العيش، لسان العرب مادة رفع

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 328/2

"، ولقد هاجر أو لجأ المهاجرون الأولون من المسلمين إلى الحبشة.

لعل الروم وهم حلفاء الأحباش، حرضوا أبرهة على مهاجمة الفرس<sup>(١)</sup>. ولكن المؤرخ الذي نقل هذا الخبر، لم يشر إلى المواضع التي هاجمها، والأماكن التي كان الفرس فيها، فهل أراد بذلك مسير أبرهة لفتح مكة وبقية مدن الحجاز، ليهاجم من هناك العراق، وحدود الإمبراطورية الساسانية، وليمهّد بذلك الطريق إلى الاتصال بالروم، أو أنه عنى مهاجمة الفرس من مواضع أخرى تقع في العربية الجنوبية أو سواحل الخليج<sup>(٢)</sup>.

إن هدف حملة أبرهة كان سياسياً اقتصادياً، فالبيزنطيون كانوا يسعون إلى توحيد القبائل العربية في جزيرة العرب تحت نفوذهم ضد الفرس وقد اتخذوا قواعد برية وبحرية لهم في جزيرة العرب، وكان لهم سياسة مع القبائل العربية<sup>(٣)</sup>، لذا حاول أبرهة إحياء سياسة الهيمنة على قبائل وسط الجزيرة أسوة بما كان يقوم به النظام السياسي اليمني من قبل.

ففيما يختص بحمير فقد كان المرغوب فيه أن يقيموا قيساً<sup>(٤)</sup> زعيماً على معد، ويسيروا جيشاً منهم، ومن المعديين لغزو فارس". ولم يكن أبرهة يزهد في استغلال مثل هذه الفرصة لمد نفوذه على بلاد العرب<sup>(٥)</sup>.

على كل حال أصيب مشروع أبرهة، الرامي إلى هدم الكعبة، والاستيلاء على مكة، بإخفاق ذريع ولو تم، لا تصل ملك الروم بملك حلفائهم وأنصارهم الحبش في اليمن، ولتحقق حلم الاسكندر الأكبر، وأغسطس، ومن فكر بالاستيلاء على هذا الجزء الخطير من العالم من بعدهما، ولتغير الوضع السياسي في الجزيرة من غير شك،

(1) جواد: تاريخ العرب 197/3 نقلاً عن بروكوبيوس.

(2) جواد: تاريخ العرب 197/3 نقلاً عن بروكوبيوس.

(3) bury (J.b): hstory of the later roman empire, london, 1923,vol1,2,p, 318, briwf:bury (3)  
.history of the later roman empire

وينظر جواد: تاريخ العرب 387/4، جواد: المفصل 657/2 عثمان: (فتحي) الحدود الإسلامية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري الدار القومية للطباعة والنشر ج1 ص120 يختصر إلى عثمان: الحدود الإسلامية.

(4) المقصود بقيس امرؤ القيس.

(5) richard, (ball), the origin of Islam its chrrian, environment,London, 1920,p. 40, brief (5)  
.richard ;the origin of Islam

لكن حدث ما لم يكن من الحسابان، حدث أن مكة التي أريد هدمها هي التي هدمت ملك الحبشة في اليمن، وملك من جاء بعدهم لنجدة اليمن.... وملك البيزنطيين في بلاد الشام، وملك الفرس في العراق، وفي كل مكان عندما قام الإسلام، ودخل البلاد.

### 3) الفرس في اليمن

كانت حملة أبرهة المخنفة على مكة، تعني امتداد سيطرة الأحباش وكلاء بيزنطة على أهم شريان تجاري في بلاد العرب، ولكن الأحباش أدركهم الضعف، ولم يستطيعوا تحقيق السيطرة الاقتصادية لصالح البيزنطيين على التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر، كما تدهور الحميريون اقتصادياً بعد تصدع سد مأرب، وتتابع هجرات اليمنيين إلى الشمال، وحكم اليمن رجال أذلوا أهلها، فبعد وفاة أبرهة، انتقل الحكم ليكسوم بن أبرهة<sup>(١)</sup>. أذل خلالها أهل اليمن، فلما توفي خلفه أخوه مسروق الذي كان أكثر تعسفاً في معاملة الحميريين، واخبت سيرة<sup>(٢)</sup>.

نفرت هذه الأعمال أهل اليمن من حكم الأحباش، ورغبتهم في التخلص منهم ومن استبدادهم. وعندما طال البلاء، ظهر زعيم وطني من حمير، يقال له سيف بن ذي يزن، و يكنى أبا مرة<sup>(٣)</sup> وقرر التخلص من حكم الأحباش، وتحرير بلاده، وتخليص قومه، ولما كان من المستحيل عمل ذلك بالسيف وبالاغتماد على القبائل اليمنية، ركب البحر ملتسماً العون، فكيف تم ذلك؟ وبيزنطة حليفة أكسوم؟

إن بيزنطة حليفة أكسوم، هذا صحيح، ولكنها في الوقت نفسه فهي حليفة والده السمينع أشوع، وهذا ما جعلها توعده بتحقيق أمنيته، إلا أنه لما طال الانتظار وباء

---

(1) المسعودي: مروج الذهب 2/55. الدينوري: الأخبار الطوال 163. الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء 114.

ابن بكار: نهاية الأرب 21. سالم: تاريخ العرب والعصر الجاهلي 170.

(2) الأزقي: أخبار مكة 1/148. الدينوري: الأخبار الطوال ص52. المسعودي: مروج الذهب 2/55. الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء 114. سالم: تاريخ العرب والعصر الجاهلي 171، جميل: محاضرات ص95.

(3) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 2/139. الدينوري: الأخبار الطوال ص52. المسعودي: مروج الذهب 2/55. ابن الأثير: الكامل في التاريخ 1/447. ابن كثير: البداية والنهاية 2/221-222. تاريخ الخميس ص192

بالإخفاق<sup>(٤٤)</sup>، لعدم إمكان بيزنطة تقديم المساعدة لأنها كانت قد هزمت، وفقدت سورية، وليس بإمكانها تقديم المساعدة، ومن ناحية أخرى فكيف تتجدد سيف وهي مرتبطة مع الأحباش بعلاقات دينية واقتصادية وسياسية ولن تزيده مناصرة اليمانيين شيئاً مما كان يلقاه من امتيازات في اليمن، لقد أجاب إمبراطور بيزنطة سيف الدولة بقوله "أنتم يهود، والحبيشة نصارى، وليس في الديانة أن نصر المخاص على الموافق<sup>(٤٥)</sup>".

أي أن بيزنطة لضعفها آنذاك شعرت أنها بأمر الحاجة لحليف قوي لها (الحبيشة) فمناصرتها سيف لن يزيدها شيئاً في الوقت الذي هي بحاجة للحبيشة التي هي من نفس دينها. ولعل سيف ومسألة مقابله إمبراطور بيزنطة أمر مشكوك فيه، فكيف يقابل الإمبراطور ومظاهر الأبهة والعظمة للإمبراطور تمنع سيف من ذلك؟ ثم ماهي اللغة التي تفاهم فيها مع الإمبراطور؟ وكيف تسنى له أن يصل إلى القسطنطينية؟

ربما قابل أحد رجال الروم قادمًا من القسطنطينية، وحكى له عن الوضع وبطريقة أو أخرى تفاهم معه، فزعمت الروايات أنه قابل الإمبراطور، ولما كان الجواب بالنفي، تحول سيف بطلبه إلى أعداء بيزنطة الفرس، وتوجه إلى كسرى أنوشروان، على أمل أن يقوم هذا بنجدته، أو بالأحرى للتحالف معه وليحل سيف محل الحبيشة بالتحالف مع الفرس فيعود لهذا الجزء الهام من الجزيرة العربية مكانته.

وقد رأى من باب الحذر أن يفعل ذلك عن طريق اللخمين، فرحل سيف إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة، الذي يرتبط مع كسرى فارس برابطة الولاء والتبعية، حتى يقدمه بنفسه أمام كسرى وبالفعل، استضاف النعمان سيف ووعدته بأن يقدمه إلى كسرى<sup>(٤٦)</sup>.

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 2/139، ابن بكار: نهاية الأرب ص22.

النويري: نهاية الأرب 15/309. المقدسي: البدء والتاريخ 3/189.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ 1/447.

(٢) المسعودي: مروج الذهب 2/55، وينظر الثعالبي: غرر ملوك الفرس وسيرهم 616، جميلي: محاضرات

95، وسالم: تاريخ العرب والعصر الجاهلي 172.

(٣) الدينوري: الأخبار الطوال 52.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك 2/139. 140.

الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص114

ابن بكار: نهاية الأرب 22.

ولما كان اللخميون أتباع الشاهنشاه، فقد كانوا ملزمين بالوفادة على بلاطه في كل عام، فخرج ملك اللخمين ومعه سيف، وقدمه إلى أنوشروان، فحكى الأمير اليزني لكسرى عن الوضع باليمن، وما تعرض له أهلها من بلاء من طرف الأحباش والتمس من الملك نصرته بعون عسكري<sup>(٤٤)</sup>، فتردد كسرى في التدخل بصورة عاجلة في شؤون الجنوب العربي، سواء بالبر عن طريق أملاك اللخمين بنجد، أو بالبحر حول القسم الأكبر من سواحل الجزيرة العربية.

إن تردد كسرى أمر مشكوك فيه، فكيف يقف مكتوف الأيدي، وينتظر الدعوة من الخارج ليصل إلى أهم نقطة في التجارة العالمية؟

استجاب كسرى أمام إلحاح سيف "وعقد مجلساً من وزارته، وقال: ما ترون في أمر هذا الرجل وحاله؟ فقال رجل منهم: أيها الملك: إن في سجونك رجالاً حبستهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان الذي أردت بهم، وإن ظفروا كان ملكاً زاده الملك إلى ملكه"<sup>(٤٥)</sup>.

فما هو وضع هؤلاء السجناء الذين أشارت إليهم الرواية؟ أهم مجرمون لصوص، قطاع طرق، قتلى، أم سجناء سياسيين؟ لنتابع الرواية.

استجاب كسرى لهذا الرأي، فبعث بمن كان في سجنونه معه<sup>(٤٦)</sup>، وكانوا ثمانمائة رجل وعين عليهم رجالاً يدعى وهرز بن الكامجار، كان طاعناً في السن ذا تجربة وخبرة،

المقدس: البدء والتاريخ 189/3.

ابن كثير: البداية والنهاية 222/2، تاريخ الخميس ص192

نافع: عصر ما قبل الإسلام 89. كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي 187

كحالة (عمر رضا) العرب قبل الإسلام ط2 1958 مطبعة الهاشمية دمشق 34 يختصر إلى كحالة: العرب قبل الإسلام.

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 140/2، المقدسي: البدء والتاريخ 190/3

ابن الأثير: الكامل في التاريخ 448/1، ابن كثير: البداية والنهاية 222/2

سالم: تاريخ العرب والعصر الجاهلي ص172 حاشية.

(2) الحميري: منتخبات في أخبار اليمن ص116، الطبري: تاريخ الرسل والملوك 140/2 ابن الأثير: الكامل

في التاريخ 448/1 وابن كثير: البداية والنهاية 223/2.

سالم: تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي 173

(3) كريستنسن (أرثر) إيران في عهد الساسانيين ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة مطبعة لجنة التأليف

والترجمة والنشر 1957 ص355 يختصر إلى كريستنسن إيران في عهد الساسانيين.

وأبحروا في ثمانى سفن، وبعد رحلة طويلة بدجلة، والخليج العربي وبحر العرب، بلغ الأسطول الصغير سواحل حضرموت<sup>(١٤)</sup>، وأرسوا في موضع يقال له مثوب<sup>(١٥)</sup>.

ولكن غرقت سفينتان في الطريق بمن فيهما، وأنزلت السفن الباقية التي بلغ تعدادها ستمائة مقاتل، وأرست على ساحل عدن<sup>(١٦)</sup>.

وفي رواية للمسعودي يذكر فيها أن كسرى وعد سيف بالنصرة ثم شغل بحرب الروم، ومات سيف، في هذه الأثناء دخل معد يكرب بن سيف على كسرى أنوشروان مذكراً إياه الوفاء بالوعد فوجه قائداً يدعى وهرز<sup>(١٧)</sup>.

ما قام به سيف واستجابة كسرى لطلبه، تدل على المنافسة التي كانت قائمة بين الفرس والروم للسيطرة على الجزيرة العربية، وعلى الطرق التجارية الموصلة إلى الشرق الأقصى، وإن سيف حاول الاستئصال بأعظم قوتين في العالم آنئذ، ولكن من غير المعقول أن يكون كسرى جاهلاً بخيرات اليمن، ويرسل جيشاً من السجناء، ويستعين بفتح اليمن، وهو يحرص كل الحرص على نجاح الحملة، لأن احتلال اليمن على ما يبدو مرحلة أولى للتغلغل إلى وسط الجزيرة العربية.

إن وهرز قائد طاعن في السن حسب ما جاء بالرواية أي أنه من ذوي الخبرة والتجربة، هذا ما يؤيد أنه محنك سياسي، وإن من أرسل لنجدة سيف سجناء سياسيون سجنوا لسبب

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 2/144، المقدسي: البدء والتاريخ 3/190، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 448/1. نافع: عصر ما قبل الإسلام ص 90.

(٢) المسعودي: مروج الذهب 2/55، الدينوري: الأخبار الطوال 53، بافقيه: في تاريخ اليمن 172.

(٣) الحميري: ملوك حمير 151، ابن هشام السيرة النبوية 1/65، الطبري: تاريخ الرسل والملوك 2/141، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 1/448، الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص 52، ابن كثير البداية والنهاية 2/223، تاريخ الخميس ص 193، نافع: عصر ما قبل الإسلام 90، جميل: محاضرات 97. اختلف ابن بكار في كتابة نهاية الأرب في عدد السفن وقال اثنتي عشرة سفينة أبحروا إلى ساحل عدن. ابن بكار: نهاية الأرب ص 24، وعند ابن قتيبة 7500 مقاتل أكثرهم من الديلم، التحق بهم كما يبدو كل المجرمين الذين أخلى سبيلهم من السجن: ابن قتيبة المعارف 278، وينظر أيضاً فرعون: السياسة الساسانية ص 111.

(٤) المسعودي: مروج الذهب 2/55.

وينظر الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية ج 1 ص 42.

كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 187.

أو لأخر خاصة ما قام به وهرز بعد أن وصل إلى اليمن يشير إلى ذلك.

ثم إن السفن التي أرسلت ثمانية عليها ثمانمائة رجل غرقت منها سفينتان، وأرست ست سفن محملة بستمائة مقاتل قوة بسيطة. ومع ذلك استطاعت فتح اليمن، فهل كان مع السفن أسلحة إضافية وزعت على السكان في اليمن؟

على كل حال، نزل وهرز على الساحل، فأمر بحرق السفن، ليعلم الجنود أنه الموت أو الانتصار<sup>(١)</sup>.

وهذا يذكرنا بفتح الأندلس من قبل طارق بن زياد فيما بعد، وسارع السكان المحليون إلى معاونة الأمير اليزني ضد الملك الأجنبي، فكيف يعاونون وليس لديهم أسلحة؟ إن هذا يؤكد أن السفن حملت الجنود ومعداتهم الحربية ومعدات وأسلحة إضافية وزعت على السكان.

نجحت الحملة نجاحاً تجاوز كل تقدير في الحسبان، وانهزم مسروق بن أبرهة، وقتل في المعركة، ودخل وهرز صنعاء، وضبط اليمن، وأعلم كسرى بالفتح، فكتب هذا إلى وهرز يأمره بقتل كل أسود باليمن، وبتمليك سيف عليها، وفرض عليه جزية، وخراجاً معلوماً في كل عام<sup>(٢)</sup>.

إن تمليك سيف على اليمن، أمر طبيعي، وهو أن كسرى قنع بإقامة حكم وطني في اليمن، ولكن ربطه بتبعية له بفرض الجزية، وذلك كي لا يؤلب اليمنيين عليه، فيتخلصوا من حكم أجنبي وليعودوا إلى آخر، وبالتالي فهو مشغول في حرب الروم، وأمره

---

(1) المسعودي: مروج الذهب 56/2.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك 145/2.

المقدسي: البدء والتاريخ 191/3

ابن الأثير: الكامل في التاريخ 448/1

كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 188

(2) الطبري: الأخبار الرسل والملوك 142/2

الدينوري: الأخبار الطوال 53.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ 450/1

كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 188

حوي: تيارات ثقافية 18 جميلي: محاضرات 97

بافقيه: في تاريخ اليمن 172

بقتل كل أسود، دليل ضمني على المنافسة الشديدة بين الفرس والأحباش، ومن ورائهم بيزنطة، على هذا الجزء الهام من الجزيرة العربية، فاليمن مفتاح السيطرة على البحر الأحمر وعلى المنطقة الغربية من الجزيرة العربية.

ووفدت الوفود إلى سيف للتهنئة بالفوز وكان من جملة الوفد، وفد عبد المطلب<sup>(ن)</sup>، وقد سجل أبو الصلت والد أمية هذا الابتهاج بقوله<sup>(ب)</sup>:

لا يطلب الثأر إلا كابن ذي يزن      في البحر خيم للأعداء أهوالا  
أتى هرقل وقد شالت نعاسته      فلم يجد عنده النصر الذي سالا  
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة      من السنين مهين النفس والمالا  
حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم      تخالهم فوق متن الأرض أجبالا

ولقد أصبح اللخميون الآن حلفاء لحمير، وبذا فإن جميع بلاد العرب باستثناء الأطراف الشمالية الغربية لشبه الجزيرة اتحدت تحت هيمنة الفرس.

وفي بعض المصادر أن وهرز بقي إلى جانب سيف<sup>(ث)</sup>، فربما كي يتابع الأحداث التي كانت تجري في اليمن، وإيصال هذه المعلومات إلى الفرس، أو لإقامة حكومة مشتركة يمنية فارسية تولى رئاستها سيف.

أضف إلى ذلك أن كسرى اشترط على سيف نظير مناصرته له عدة شروط، منها أن

---

(1) الحميري: ملوك حمير ص 153، المسعودي: مروج الذهب 57/2 - 58 الطبري: تاريخ الرسل والملوك 142/2 ابن الأثير: الكامل في التاريخ 1/450 - نافع عصر ما قبل الإسلام 91 حوي: التيارات الثقافية 8، الشطي (أحمد شوكت) مجموعة أبحاث في الحضارة العربية الإسلامية - جامعة دمشق 1963 ص 50 يختصر إلى شطي: مجموعة أبحاث.

(2) وهب بن منبه: التيجان 305 - 306 ابن هشام: السيرة النبوية 67/1

الأزرق: أخبار مكة 1/149 - 150 وما بعد

المسعودي: مروج الذهب 59/2

الطبري: تاريخ الرسل والملوك 147/2

الأصمعي: العرب وأطوارهم 1/78، ابن بكار: نهاية الأرب 25

المقدسي: البدء والتاريخ 3/194

(3) الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص 115 وتاريخ الخميس 193

يتزوج الفرس من نساء اليمن، ولا يتزوج اليمنيون من نساء الفرس، وأن يحمل سيف إلى كسرى الخراج<sup>(١٤)</sup>. كما سلف القول.

إن شرط الزواج هذا عملية استيطان بالنسبة للفرس، فكما نجدهم فيما بعد يخلفون الأنبياء<sup>(١٥)</sup>، الذين بقوا في اليمن حتى بعد دخول الإسلام إليها.

ومن المؤسف أن المصادر العربية. وهي تروي العديد من التفاصيل التي غلبت عليها الأسطورة، تعطي معلومات نادرة للغاية عن فترة حكم سيف بن ذي يزن.

على كل الأحوال تعقب سيف الأثيوبيين، واستأصل شأفتهم<sup>(١٦)</sup>، ولكن من العسير القول بأنه جهد في تصنيفهم كطبقة من المقاتلين، ذلك أن رماة الحراب من الأثيوبيين، كانوا يمثلون فرقة مهمة من القوات المسلحة ببلاد العرب آنذاك، ولم يكن جيش سيف ليمثل استثناء في هذا الصدد "فقد دفعه عدم تبصره إلى أن يجمع حوله حرساً مسلحاً من أولئك الأثيوبيين"<sup>(١٧)</sup> فارتكب في ذلك خطأ فادحاً.

فهل الدافع لعدم التبصر هذا حذره من الأمراء الحميريين الذين كانوا يمثلون بالنسبة لملك حمير منافسين أشد خطراً من المقاتلين الأثيوبيين<sup>(١٨)</sup>.

على كل حال مالبث هؤلاء الأخيرين أن قتلوا سيف بن ذي يزن بأن وجؤوه بالحراب، وهربوا إلى روعوس الجبال<sup>(١٩)</sup>.

وانهارت بذلك مملكة حمير وساعد على ذلك اللخميون ومن ورائهم إيران. جرت هذه الأحداث، ولم تحرك بيزنطة أو أكسوم ساكناً أثناء ذلك، حيث تصادف

---

(1) المسعودي: مروج الذهب 56/2

فرعون: السياسة الساسانية 111

(2) الأنباء اليوم هم من بقايا هذا الزواج، ابن حبيب المحبر ص 66 م

(3) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 148/2

(4) pigulevskia: vizantia na putiakh, p. 334

(5) ابن بكار: نهاية الأرب ص 26، الطبري: تاريخ الرسل والملوك 148/2

الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص 115

الدينوري: الأخبار الطوال ص 53، ابن الأثير: الكامل في التاريخ 450/1

أبي الفداء: المختصر 69.68/1

نافع: عصر ما قبل الإسلام ص 91

جميلي: محاضرات ص 98.

وضع الفرس يدهم على الجنوب العربي مع فترة من الكوارث الطبيعية التي جلبت ضربات قاضية لوضع بيزنطة الاقتصادي والسياسي وأشد من أكثر الحروب تدميراً<sup>(١)</sup>.

وتحول الجنوب العربي إلى ولاية من ولايات الدولة الساسانية، وكانت هذه بداية لسياسة جديدة للفرس بالجزيرة العربية فالحاكم الفارسي لليمن، يحمل في المصادر العربية اسم المرزبان<sup>(٢)</sup>.

ولقد استمرت السيادة الفارسية بالجزيرة العربية إلى لحظة توحيدها على يد المسلمين، وبهذه الطريقة أصبح الفرس المسيطرين الرئيسيين سيطرة فعلية على الطريق البحري التجاري إلى الهند عبر البحر الأحمر وازداد نفوذهم حتى كاد يعم أقطار الجزيرة العربية إذ كانوا مستولين على العراق والبحرين وحضرموت.

---

(١) كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 192.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 2/148.

ومرر بالفارسية تعني الحدود ومرزبان حافظ الثغور وحاكم الحدود

كوبيشانوف: الشمال الشرقي الإفريقي ص 193 حاشية.